العدد (1570) السنة السادسة - السبت (1) آب 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

أسـبـاب نهضـة وسـقـوط الـدعـوة الـقـومـيـة الـعـربـيـة

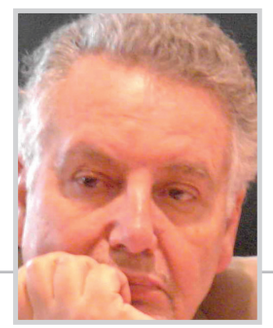

رغم الجهود الفكرية والسياسية التي بذلها كثير من المثقفين في التبشير لفكرة القومية العربية، إلا أن التيار القومي لم يتقدم تقدمه المطلوب في القرن التاسع عشر. فالنـزعات القومية لم يكُ لها قوة ونفوذ كبيرين في الميدان الفكري والمجال الأيديولوجي، وذلك بفعل العوامل التالية:

شاكر النابلسي

١. غياب المفهوم القومي بفضل نشوء دعوة رابطة "الجامعة الإسلامية" التي تبناها جمال الدين الأفغاني. التي كانت لا تعترف بحدود وطنية أو مفاهيم إقليمية قبل دعوته إلى "الرابطة القومية". كذلك قام الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥) بترديد مفهوم أستاذه الأفغاني، ودعوته إلى قيام دولة إسلامية مبنية على التضامن الديني، واعتباره الشعور القومي من نتاج الأنظمة ذات العلائق القبلية. بل إنه كرّس مجلة "المنار" للهجوم على دُعاة القومية. وقال الباحث محمد مخزوم: وصمت مجلة "المنار" الدعوة القومية، بأنها نتاج أوروبي غريب. وأن القوميين يخدمون في مصر إدارة الاحتلال البريطاني على حساب سلطة السلطان العثماني الذي يمثل الفكرة الدينية بأوسع معانيها. كما يخدمون مصالح دول أوروبا الاستعمارية في بلاد الشام المتمثلة في سياسة الإلحـاق الاقتصادية وإحكام السيطرة العسكرية". ومن الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية كانت- على عكس ما يقول عنها رشيد رضا- لا تمثل الفكرة الدينية حتى بأضيق معانيها. (محمد مخزوم، "أزمة الفكر ومشكلات السلطة السياسية في المشرق العربي في عصر النهضة"، ص ١٠٦).

٢. معارضة الغرب لإقامة دولة الوحدة القومية في القرن التاسع عشر بين سوريا ومصر، في عهد محمد علي باشا، رغم كره الغرب للعثمانيين، واحتجاجه على استبداد حكمهم، ومقاطعته لهم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. إلا أن معارضته لفكرة القومية العربية قد زالت عندما زالت معارضتها لمصالحه في المنطقة. فشجع الغرب حركات القومية العربية بعد الحرب العالمية الأولى نكايةً بالعثمانيين، الذين حالفوا ألمانيا ضد دول المحور.

٣. ضعف وبؤس وضيق أفق الطبقة التجارية الشامية في القرن التاسع عشر. وهي الطبقة صاحبة المصلحة الأولى في وحدة الفكرة القومية، التي كانت ستفتح الحدود وتزيل السدود أمام حرية التجارة العربية وحركة رأس المال الحرة في العالم العربي، وتنعم بالازدهار في ظل الوحدة السياسية والاقتصادية.

٤. يقـول المفكر المصري/الفرنسي سمير أمـين، إن افتقار الوطن العربي للأرستقراطية، كان بسبب جفاف بلاد الرافدين، وحصر الفلاحين وانعزالهم في الحدود الضيقة لقلاعهم الجبلية المعزولة نتيجة لهذا الجفاف، وتدهور وضعهم المالي نتيجة لقلة الإنتاج الزراعي(الأمة العربية، ص ١٣٤).

أسباب نهضة الفكرة القومية العربية

ولو عدنا مرة أخرى إلى أسباب نهضة الفكرة القومية العربية في مطلع القرن العشرين، لوجدنا أن هـذه الفكرة قد نشطت نتيجة لانتشار المدارس والتعليم الأجنبي التبشيري في بـلاد الشـام في القرن التاسع عشر انتشاراً كبيراً ، ما ولّد الوعي القومي ليس لدى العرب فقط، ولكن لدى الأتراك أيضاً، الذين توّجوا هذا الوعي بإلغاء الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية في عام ١٩٢٤ بقيادة كمال أتاتورك.

كما كان لانضمام بعض القياديين العرب لجمعية "الاتحاد والترقي" الطليعية أثر في نمو الحركة القومية العربية التي تشكلت على إثرها "الجمعية العربية الفتاة" في العام ١٩١١ على أيدي الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في باريس وهي المكان الذي أنشأ فيه الطلبة الأتراك "جمعية تركيا الفتاة" أيضاً. ومن المعروف أن جمعية (العربية الفتاة) التي سُميت في بادئ الأمر "جمعية الناطقين بالضاد" تأسست في عام ١٩٠٨ إلا أن أول هيئة إدارية تكونت لها كانت في عام ١٩١١، في حين يقول سمير أمين (الأمة العربية، ص ٧٢) أن هذه الجمعية تأسست سنة ١٩١٤ ويقول زين نور الدين إنها تأسست ١٩٠٩ ("نشوء القومية العربية"، ص ٩١) وكان من أبرز مؤسسي هذه الجمعية توفيق الناطور (محام، ومناضل سوري، ومؤسس جريدة "الفجر" الدمشقية، وقد أعدمه السفاح والـوالي العثماني جمال باشا عام ١٩١٦) وأحمد قدري (سياسي ومناضل سـوري) وعـوني عبد الهادي (١٨٨٨-١٩٧٠) (سياسي ورجل دولة فلسطيني) ورفـيق التميمي (١٨٨٩-١٩٥٦) (سياسي ومـؤرخ فلسطيني) وجميل مردم بك (١٨٨٨-١٩٦٠) (رئيس وزراء سوريا ١٩٤٦، ١٩٤٧، ١٩٤٨) وحـمدي البـاجه جي (١٨٨٣-١٩٤٨) (رئيس مجلس النـواب العراقي ١٩٤١ ورئيس وزراء ١٩٤٤) وكان لهذه الجمعية أثرها في تاريخ الحركة القومية وكانت تهدف إلى استقلال العـرب وتحريرهم من الحكـم التـركي وقد انتقل مقر هذه الجمعية من باريس إلى بيروت في عام ١٩١٣ ، ثم إلى دمشق. وقبل هذه الجمعية كانت قد نشأت جمعية "الإخاء العربي-العثماني" في عـام ١٩٠٨ التـي كانت تهدف هي الأخرى إلى إحياء فكرة القومية العربية. ثم جاء بعد ذلك دور النوادي الأدبية والجمعيات السرية التي لعبت هي الأخرى دوراً بارزاً في نشوء فكرة القومية العربية في مطلع هذا القرن. إلا أن جورج أنطونيوس في كتابه "اليقظة العربية" يرد نشوء فكرة القومية العربية إلى ما قبل هذا كله ويقول بأن الحركة القومية العربية بدأت في عام ١٨٥٧ مع تأسيس "الجمعية السورية العلمية".

ما هو الباعث على الدعوة القومية؟

ومن هنا يتبين لنا، أن الباعث على نشوء وارتقاء الحركة القومية في الربع الأول من القرن العشرين كان المطالبة بالاستقلال والتحرر من الحكم العثماني، وأن هذا الباعث كان هو نفسه في الأربعينيات وفي مطلع النصف الثاني من هذا القرن أيضاً، حيث المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاستعمار الغربي.

وبذا يكون الاستعمار التركي والاستعمار الغربي هما الباعثان على نشوء وازدهار فكرة القومية العربية.

فهل زوال الاستعمار من العالم العربي وحصول البلدان العربية على استقلالها بنهاية عام ١٩٧١ . حيث كانت آخر دولة عربية نالت استقلالها، وانسحبت منها القوات الأجنبية هي الإمـارات العربية المتحدة في عـام ١٩٧١. يعني أن فكرة وحركة القومية لم يعد لها ما يبررها، وأن الدعوة لها أصبح ضرباً من ضروب اللغو وترفاً ثقافياً تـدور به الألسن للترفيه، وتزجيّة الفراغ؟

بلاد الشام مهد الدعوة القومية

بعد الحرب العالمية الأولى أصبحت مسألة القومية العربية همّاً شامياً صرفاً وفكراً شامياً صرفاً أيضاً في الدرجة الأولى. فما أن أطل العام ١٩١٩ حتى أصبحت القومية العربية هي الأيديولوجيا المسيطرة في سوريا الكبرى (وهي "بلاد الشام" التي تشمل سوريا الحالية ولبنان وفلسطين والأردن) والـتي تسعى كل شخصية سياسية إلى العمل من أجلها، وتحقيق غاياتها.

إضافة لذلك، فقد كان الهلال الخصيب الذي يضم العراق إلى جانب بلاد الشام مرتعاً خصباً لفكرة القومية العربية وحركتها، حيث ظهرت في العراق الأحزاب والحركات السياسية ذات الاتجاه القومي الليبرالي متحررة من الاتجاه الديني بتأثير انهيار الخلافة العثمانية وسعة انتشار التيار الليبرالي والتقدمي في أوساط المثقفين خاصة. وهـذا مـا عبرّ عنه عبد الناصر بقوله في عام ١٩٧٠ عن ريادة بلاد الشام للحركة القومية:

"إن فكرة القومية العربية والوحدة العربية جديدة على الناس في مصر، الواقع أصلاً من ١٩٥٥، ١٩٥٦ بدأ هذا الشعور يـبرز. في سـوريـا، مـن زمـان، الشعور القومي واضح، بيتولد الطفل، بيقول القومية العربية." (مجموعة خُطب عبد الناصر، مجلد٧، ص٣١٣).

لماذا بلاد الشام دون غيرها؟

يعود سبب احتضان بلاد الشام للدعوة القومية العربية إلى أن أكبر نسبة من العرب المسيحيين المثقفين والمتصلين بالغرب، كانت تسكن بـلاد الشـام على وجـه الخـصوص. فالجـزيـرة العربية كـانـت تـخـلـو مـن الـعـرب المسيحيين، والمغرب العربي كذلك. فتركزت في هاتين المنطقتين الدعوات إلى الإحياء الديني لا القومي. كذلك كان الحال في مصر، حيث كانت لا تضم غير فئة قليلة من المسيحيين الأقباط، كانت في الماضي محصورة في منطقة الصعيد جنوباً، وهي منطقة كانت فقيرة ومتخلفة ومعزولة عن العالم. كذلك كان الحـال في السـودان، حيث ينحصر المسيحيون في الجنوب الفقير المُعدم.

إضـافـة لـذلـك، فـإن قلب الحـكـم العثماني وإسفينه الأعمق في العالم العربي كان متركزاً في بلاد الشام ذات الأهمية الدينية والاقتصادية والسياسية والإستراتيجية العظمى للإمبراطورية العثمانية. فكان أهل الشام أكثر ضيقاً بالحكم العثماني من أي منطقة أخرى من العالم العربي، وكانوا تبعاً لذلك أكثر حماسة للدعوة القومية المُحققة للاستقلال أكثر من أي بلد عربي آخر. فظهرت "جماعة الأهالي" في العراق، و "الحزب السوري القومي الاجتماعي" (وهـو حـزب سياسي إقليمي الانتشار، اقتصر نشاطه على منطقة سوريا الطبيعة أو الهلال الخصيب أسسه أنطون سعادة (١٩٠٤-١٩٤٩) اللبناني في عام ١٩٣٢ من طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت.) ومن المعروف أنه بعد إعدام سعادة في لبنان، دخل هذا الحزب في الخمسينيات مرحلة سياسية مضادة لحركة القومية العربية وللحركة الناصرية وتصاعد الصدام عندما قتل الحزب الضابط البعثي السـوري عـدنـان المالكي في ١٩٥٥ ثم اعتُقلت معظم قيادات الحزب في لبنان في ١٩٦١ إثر محاولة انقلاب فاشلة. وفي عام ١٩٦٩ عقد الحزب مؤتمراً اختطَّ فيه قادته خطاً سياسياً جديداً يتلخص باحتضانهم للعروبة والقومية العربية والاشتراكية والتزامهم بالثورة الفلسطينية والوقوف إلى جانب القـوى اليسـارية في لبنان بقيادة إنعـام رعـد، خاصة في الحـرب الأهلية اللبنانية. وكان سعادة قد نادى بوحدة الأمة السورية (الهلال السوري الخصيب-جبال طوروس شمالاً وقناة السويس جنوباً والبحر السوري غرباً والخليج العربي شرقاً) ووضع خمسة مبادئ لقيام المجتمع المراد وهـي: فصل الدين عن الدولـة، منع رجـال الدين من التدخل في السياسة والقضاء، توحيد الجـمـاعـات الـديـنـيـة والـطـائـفـية، إلغاء الإقطاع، وإعادة تنظيم الاقتصاد القومي على أساس التوزيع العادل، وبناء جيش قوي وطني. كذلك دعت إلى الفكرة القومية العربية "عصبة العمل القومي" ، وهي حزب سياسي سوري تأسس سنة ١٩٣٣، كان ينادي باستقلال العالم العربي وتحقيق الـوحـدة ومـن زعمـائـه: صبـري العسلي وعبد الرزاق الدنشي وزكي جابي، ولعب هذا الحزب دوراً مهماً في النضال ضد الانتداب الفرنسي على سوريا وانفرط في عـام ١٩٣٩ حيث ورثـه حـزب البعث العربي الاشتراكي. وكان معظم الناشطين والبـاحـثين والمفكرين والكتـاب الذين كتبوا وعملوا في المسألة القومية العربية من بلاد الشام، وجزء آخر قليل من العراق وإن كان أصل بعضه من الشام أيضاً. بل إن أبرز حزبين قوميين كان لهما دور كبير وفعـال في إبراز الحركة القومية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين هما، الأول "حزب البعث العربي الاشتراكي"، الـذي كـان الـوريـث الشـرعي لـ"عصبة العمل القومي" في مطلع الأربعينيات، وتـكـون من مجموعـتـين الأولى بقيادة زكي الأرسـوزي (١٩٠٠-١٩٦٨) الذي كان عالماً لغوياً وزعيماً للمقاومة في لواء الإسكندرونة وعضواً في "عصبة العمل القومي" والمجموعة الثانية من دمشق بقيادة ميشيل عفلق وصلاح البيطار، وفي عام ١٩٤٣ أطلق علي هذه الحركة اسم "حزب البعث العربي" (يقول ناجي علوش أن هذا التاريخ هو ١٩٤٥). وعقد الحزب مؤتمره التأسيسي في عام ١٩٤٧ ووضع دستوره الذي ينص على أنه حزب قومي شعبي اشتراكي انـقـلابي. وفي عـام ١٩٥٢ انـدمج هـذا الحـزب بالحزب العربي الاشتراكي الذي كان يقوده أكرم الحـوراني وأصبح اسمه "حزب البعث العربي الاشتراكي" وأصـبـح شعاره: وحدة، حرية، اشتراكية.

والحـزب الـثـاني كـان "حركة القوميين العرب" وهـو تـنـظـيم حـزبي أسسته في بـدايـة الخـمـسـينـات مجموعة من طلبة الجـامـعـة الأمـريـكـيـة في بـيـروت منهم: جـورج حـبش ووديـع حداد الفلسطينيان وأحمد الخطيب الكويتي وهاني الهندي العراقي، وكـان شعارهم: (ثـأر، وحـدة ، تحرر) وقد ارتبطت هذه الحركة بالنهج الناصري ثـم انفصلت عنـه بعد هزيمة ١٩٦٧.

وبهذا نرى أن الفكرة القومية العربية قد نشأت في بـلاد الشام على أيـدي زعماء سياسيين ومفكرين قوميين شوام معظمهم من المسيحيين، وكـأن المسـألـة القومية العربيـة في هـذا العصر أصبحت فكراً شامياً خالصاً تخصُّ بلاد الشام وأهلها فقط. وقد دفع الـدور القومي الـذي قام به مفكرو بلاد الشام في هذا العصر إلى إطلاق اسم "قلب العروبة النابض" على مدينة دمشق في أدبـيـات الفكر القومي العربي منذ بداية القرن العشرين حتى الآن.

حقـــــوق الإنســـــــان... ماهيتهـــا وخصائصهـــا

د. رغد صالح الهدلة

ماهية حقوق الانسان:

إن أصطلاح الحقوق يعني "مجموعة من القواعد التي تخول حقوقا للفرد دون تقديم تنازلات من جانبه أو إذلال له، وباختصار فإن هذا الإصطلاح يعني ايضا حقوقا وليس مجرد أمال، وهي حقوق وليست إحسانا أو حبا أو أخوة، إن كلمة حقوق تتضمن إعطاء الحق... فالإنسان له الحق في كل حقوقه. وتجدر الاشارة الى أن عصبة الأمم لم تعرف أي تنظيم واضح المعالم لحقوق الإنسان وحمايتها، وبعبارة ادق لم يكن هناك اطار عام يحدد ماهية هذه الحقوق وفئاتها وميزاتها وسبل حمايتها، بأستثناء النص المتعلق بضرورة معاملة اعضاء العصبة بصورة عادلة للشعوب التي تعيش في الأقاليم الخاضعة لسلطتهم وضرورة احترام حقوق الشعوب التي تعيش في الأقاليم التي خضعت لنظام الإنتداب.وفي الوقت ذاته عملت إتفاقيات الصلح التي جاءت في أعقاب الحرب العالمية الأولى على تنظيم الحقوق الخاصة بشان الاقليات، الا أن فرق حقوق الانسان كما نلمسها اليوم لم تتبلور الا بميلاد هيئة الأمم المتحدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية وتبني الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهود الدولية التي تمت المصادقة عليها في عام ١٩٦٦. ومن البديهات والمسلمات لدى علماء الاجتماع والانثروبوجي أن أهم ما يميز الانسان هو أنه كائن اجتماعي، لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن مجتمعه، وذلك لعجزه عن توفير احتياجاته الأساسية. ومن ثم فإن وجود الإنسان في المجتمع ينتج عنه معادلة ثابتة وهي العلاقة التي تربطه بغيره، ومن هذه الروابط الروابط الأسرية والإقتصادية والسياسية. ومما لا شك فيه أن هذه الروابط بحاجة إلى اساس ونظام واستقرار من خلال وضع ضوابط وقواعد تنظيم سلوك الأفراد وعلاقتهم ببعضهم البعض، ومن هنا برزت الحاجة منذ القدم لوجود قواعد قانونية تنظم علاقة الأفراد داخل المجتمع الواحد وبالتالي توفير نوع من التوازن في علاقاتهم الثنائية .

وما زالت حقوق الإنسان المحور الابرز في الفلسفات الوضعية والتشريعات الالهية، ولم يكن بعث الأنبياء والرسل، إلا لحفظ وصون الكرامة البشرية والارتقاء بالإنسان الى المستوى الذي اراده له الله عزوجل، وهو الحق مصدر الحقوق كافة، الا أن تلك الحقوق قد تجاذبتها الاهواء والمطامع التي ارتبطت بالنزعة البشرية وغريزة السيطرة... فأخذ القوي يأكل الضعيف بحكم القوة التي امتلكها أو يحاول امتلاكها على حساب الآخرين.أما فيما يتعلق بتاريخ ظهور اصطلاح "حقوق الإنسان" والمتعارف عليه اليوم للدلالة على " الحقوق الأساسية " في الحياة الكريمة للرجال والنساء من غير تمييز، فأنها ظهرت حديثاً في أوروبا بعد الثورة الفرنسية وفي أواخر القرن الثامن عشر، وذلك بإعلان الثورة لوثيقة حقوق الإنسان على لسان قادتها حينذاك .... والتي بموجبها تم إلغاء نظام الاقطاع الذي كان يسود حينذاك في أوروبا، بأستعباده جميع العاملين في الأرض لحساب مالكي الأرض.

وتعد فكرة حقوق الإنسان مفهوماً جدلياً حظي بأهمية فائقة لتحديد طبيعة الروابط التي تربط بين مفهومي الحرية والحقوق، ومما لا شك فيه فإن الحرية البشرية تنبثق بشكل مباشر عن مفهوم "الكرامة البشرية"، ذلك المفهوم المبهم الذي لا يزال يكتنفه القصور في التفسير ويلفه الغموض والخلط.ويرى احد الباحثين أن التفسيرات المألوفة للحرية تقوم على فكرة الوجود الحر وغير المقيد، خاصة وأن الفرد لا يجبر على التصرف بطريقة محددة، وبهذا المعنى، فإن الفرد يتحدث عن الحرية وفق توجيهات خارجية على سلوك شخص ما، والذي يسمح لشخص ما للبقاء سلبيا أو التصرف كرد فعل على الارادة الذاتية. وفي واقع الأمر، توجد عدة خصائص للاختيار في قياس الحرية . كما ان مفهوم الحرية المطلقة اضحى محل انتقاد، وهو امر صعب التصور وذلك لحساسية الموقف ولتعلقه بالمفهوم العام للكرامة البشرية، التي تعني أن تداخل الحريات والحقوق، وتغول بعضها على الآخر يعني في نهاية المطاف تغليب احدها على الآخر، وهذا الامر لا يمكن القبول به في وسط عالم ينادي بصون كرامة الإنسان وآدميته من أي اعتداء. ومن المعلوم أن حقوق الإنسان في اطارها العام متعددة ومتنوعة وتقع ضمن بوتقة من الأصول والفروع، حيث تنقسم الحقوق إلى حقوق فردية، سياسية وثقافية، اجتماعية واقتصادية واخرى مدنية، وتشتمل على مضامين متفاوتة بالمقارنة مع الحقوق الطبيعية. اما الحقوق الطبيعية النمطية فهي مدينة وسياسية، وتشمل الحق في الحياة، والحق في الحرية، وتولي المناصب العامة، والتملك، وبشكل عام تتسع حقوق الإنسان النمطية لتشمل الشؤون الإقتصادية – الإجتماعية، مثل الحق في التعليم، والعمل والحصول على حصة كافية من الغذاء والسكن، والتمتع بالأمن الإجتماعي، وعادة يكون هناك تداخل ما بين فكرة حقوق الانسان وما يسمى بالاحتياجات الاساسية لكينونة الانسان والتي صنفتها الامم المتحدة ومعظم الدراسات القانونية الى الحق في: المسكن، التعليم،الرعاية الصحية، بناء الاسرة...الخ. وأهم ما يميز حقوق الإنسان أنها مفهوم نسبي، تختلف النظرة اليه باختلاف الثقافات والإديـان والعادات وفلسفات الشعوب. كما أن انقسام العـالم على ذاتـه يساعد على تكريس نسبية حقوق الانسان، اذ ينقسم العالم الى رأسمالي ، وأشتراكي وثالث نام. وكل نظام من هذه الانظمة يتميز بمفهومه الخاص للحقوق والحريات، وهو ما يفسر احجام العديد من الدول الأفريقية على سبيل المثال من التوقيع والمصادقة على العديد من المواثيق والعهود الدولية في حقوق الإنسان، كما أن تعدد واختلاف الأنظمة السياسية العالمية تنظر إلى مفهوم حقوق الإنسان بشكل متفاوت ومختلف. ولم تبق حقوق الإنسان مجرد فكرة، بل اضحت نظرية واسعة التطبيق لا يمكن تصور وجود للحرية والعدالة والسلام من دونها. وان صون الكرامة البشرية يعد المحور الأساس الذي تقوم عليه النظرية العامة لحقوق الانسان، وتهدف فلسفة هذه الحقوق وحمايتها في نهاية المطاف إلى تحقيق اهداف وغايات سامية تتمثل في إحقاق الحرية والمساواة، واحترام حياة الإنسان وكرامته. وعلى وجه العموم، فأن الحق كاصطلاح يعرف على أنه (تغيير مضاد ذو علاقة متبادلة مع تغيير الواجب) ، (أي ما يمكن اعتباره حقا للشخص ما يشكل واجبا على الشخص الآخر).ووفقا لما تقدم فإنه يمكن تعريف حقوق الإنسان على انها "المعايير الأساسية التي لا يمكن للناس، من دونها، أن يعيشوا بكرامة كبشر، وحقوق الإنسان هي ضمانات عالمية تحمي الأفراد والجماعات من الإجراءات الحكومية التي تمس الحريات الأساسية والكرامة الإنسانية، ويتميز قانون حقوق الإنسان بتركيزه على الفرد باعتباره محلا للحماية القانونية وموضعاً للضمانة الدولية، وحقوق الانسان هي حقوق لا يمكن التنازل عنها او انتزاعها، متساوية ومترابطة، وعالمية ويشير مصطلح حقوق الإنسان إلى الحقوق الواجب التمتع بها من قبل جميع البشر لكونهم (آدميين)، فهذه الحقوق ليست منحة من أحد، ولا يؤذن فيها من الدول، وهـذه الأخـيرة لا تمنحها ولا تمنعها. وعلى الرغم من اختلاف الدول والانظمة القانونية ازاء تطبيقات حقوق الانسان والاجـراءات الواجب اتخاذها لحمايتها، الا أن الحقوق المرصودة والمقررة للإنسان تعد استحقاقات لا لبس ولا غموض حولها في القانون الدولي. فعلى سبيل المثال فإن حق الإنسان في المحاكمة العادلة ما هو الا استحقاق معترف به في ظل (قانون الشرائع العامة (Common Law) و (القـانـون المـدني) (Civil Law والقانون الروماني (Law Roman أي أن كل دولة مطالبة بأن تكيف أنظمتها القانونية بحيث تستوعب، تعكس، وتطبق، وتحترم مواد القانون الدولي الخاصة بالإنسان، فحياة الأمن والطمأنينة هي ضمانة الحقوق الإنسانية فالأمن حق في الحياة المعقولة اذ يرتهن أمن الفرد بأمن الجماعة، ويعتمد التمتع الخاص بالحق على التمتع العام به والعكس صحيح أيضا، فالحرية والأمان ينتميان إلى مصدر واحد... والسلطات الحرة أكثر أمنا من السلطات غير الحرة .

ان حقوق الانسان هي مجموعة القرارات الصادرة عن الجمعية العامة لـلأمم المتحدة التي نصت على حقوق الإنسان الثابتة وغيرالقابلة للتصرف فإن إلصاق صفة الثبات على هذه الحقوق تكون سارية في أوقات الحرب والنزاعات المسلحة باستثناء ما تقتضيه ضرورة الاوضاع في حدود نص المادة الرابعة من العهد الـدولي. ويعد التطبيق الدولي لهذه القواعد من عدمها مؤشراً على طبيعة النظام في الدولة، والذي على اساسه يتم تقسيم الدول الى ديموقراطية وتحترم كرامة مواطنيها وأخرى دكتاتورية، والانظمة الدكتاتورية سواء في دول العالم النامي او المتقدم تنكر على الشعوب حقها في سيادتها الوطنية وتقرير مصيرها. وعلى الرغم من ان أحد الأسباب الأساسية الكامنة وراء صدور الاعلان العالمي لحقوق الانسان كانت الانتهاكات النازية الألمانية أبـان الحرب العالمية الثانية وجرائمهم البشعة ضد اسرى الحرب، ومعاملتهم كأنهم حيوانات تجارب، الا أن هذه الانتهاكات على بشاعتها لا تختلف كثيراً عن الانتهاكات المعاصرة على يد سلطات الدول المتمدنة. وهذا يتطلب حتما إصدار قرارات جديدة تلائم درجة الانتهاكات والأرهاب الدولي الذي يعيشه الأفراد في ظل السياسات العالمية الجديدة .

ويحتوي الإعـلان العالمي لحقوق الإنسان على قواعد اساسية اقرتها جميع الدول الموقعة على ميثاق الأمم المتحدة مثل تقرير المصير للشعوب وتحريم إبادة الجنس البشري والاتجار بالرقيق، وهو ما يجعل من هذه الوثيقة اساسا دوليا لا يجوز الاتفاق على خلافه.

وما يلاحظ أن الجرائم التي ترتكب ضد حقوق الانسان اصبحت جرائم دولية لا تخضع لقاعدة التقادم، ولا تعفي مرتكبيها من المحاكمة والعقاب تبعاً لتمتعهم بحصانات معينة. وهذا النوع من الجرائم يمس المجتمع الإنساني كله لذلك هناك تشدد دولي ازاء محاكمة ومعاقبة مرتبيه وذلك كضمانة لعدم تكرار الويلات التي شهدتها البشرية اثناء الحرب العالمية الاولى والثانية، وخير مثال على ذلك تشكيل محاكم لمجرمي الحرب في ليبزج، وطوكيو، ونورمبرج، ويوغسلافيا السابقة وروندا وسيراليون.

إن قانون حقوق الإنسان يسمو على القوانين الاخرى، ومن ثم اضحى من حق الفرد في جميع دول العالم اذا لم يحصل على حقوقه وينصف من قبل المؤسسات القضائية الوطنية او المحلية أن يلجأ الى القضاء الدولي وهو سلاح عملي وفعال وان كانت فعاليته تتفاوت من منظمة لاخرى.

أخـيـرا، نخلص مما تـقـدم إلى أن حقوق الإنسان هي مجموعة من الحقوق متصلة بتصور معين للإنسان يقوم في جوهره على الحرية، وتؤدي السلطة في الدولة دورا مهما في تحديد الاطار العام للحرية والمجالات التي يمكن للانسان ان يمارس حقوقه خلالها، فهناك العديد من القوانين والانظمة واللوائح التي تحاول من قريب او بعيد المس بحرية الانسان، وفي جميع الاحـوال فأن السلطة ملزمة بأن تقوم بدفع التعويض اللازم في حال انتهاكها لاي من الحقوق الاساسية للانسان في حال ما اذا تم ذلك بسبب سوء استخدام رجال السلطات العامة في الدولة لصلاحياتهم وبشكل يتنافى مع الحـدود التي اوضحتها المواثيق العالمية بضرور احترام حقوق الانسان وآدميته، وبالتالي يكون لزاما على الدولة إعادة تأهيليهم وتجريم المنتهكين ومعاقبتهم .

ان حقوق الإنسان هي حقوق متأصلة في طبيعتها ولا يمكن للفرد أن يعيش حياة كريمة بغيابها او الانتقاص منها، وهذه الحقوق تكفل للانسان إمكانات التنمية كافة والاستثمار والتقدم فضلا عن الحياة الكريمة التي تنسجم مع طبيعة الانسان.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١ . يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢ . ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com